وأمها ثوبا فتحادثنا إلى الغروب قال كثير فرجعت حتى انخت بهم فقال أبو بثينة ما ردك يا ابن أخي فقلت أبيات قلتها فرجعت لأعرضها عليك فقال وما هي فأنشدته وبثينة تسمع من وراء الحجاب ... فقلت لها يا عز أرسل صاحبي ... * إليك رسولا والرسول موكل ... بأن تجعلي بيني وبينك موعدا ... * وأن تأمريني مال الذي فيه أفعل ... وآخر عهدي منك يوم لقيتني ... * بأسفل وادي الدوم والثوب يغسل ... .

فلما كان الليل أقبلت بثينة إلى المكان الذي واعدته إليه وجاء جميل وكنت معهم فما رأيت ليلة أعجب منها ولا أحسن منادمات وانفض ذلك المجلس وما أدري أيهما أفهم لما في ضمير صاحبه منه .

وذكر الزبير بن بكار عن عباس بن سهل الساعدي أنه دخل على جميل وهو يموت فقال له ما تقول في رجل لم يشرب الخمر قط ولم يزن قط ولم يسرق ولم يقتل النفس وهو يشهد أن لا إله إلا ا قال أظنه قد نجا وأرجو له الجنة فمن هذا قال أنا فقلت ا ما أظنك سلمت وأنت تشبب بالنساء منذ عشرين سنة ببثينة فقال لا نالتني شفاعة محمد (ص) وإني لفي أول يوم من أيام الآخرة وآخر يوم من أيام الدنيا إن كنت وضعت يدي عليها بريبة قال فما برحنا حتى مات قلت كانت وفاته بمصر لأنه كان قد قدم على عبد العزيز بن مروان فأكرمه وسأله عن حبه بثينة فقال شديدا واستنشده من أشعاره ومدائحه فأنشده فوعده أن يجمع بينه وبينها فعاجلته المنية في سنة ثنتين وثمانين C آمين .

وقد ذكر الأصمعي عن رجل أن جميلا قال له هل أنت مبلغ عني رسالة إلى حي بثينة ولك ما عندي قال نعم قال إذا أنامت فاركب ناقتي وألبس حلتي هذه وأمره أن يقول أبياتا منها قوله ... قومي بثينة فاندبي بعويل ... * وابكي خليلا دون كل خليل ... .

فلما انتهى إلى حيهم أنشد الأبيات فخرجت بثينة كأنها بدر سرى في جنة وهي تتثنى في مرطها فقالت له ويحك إن كنت صادقا فقد قتلتني وإن كنت كاذبا فقد فضحتني فقلت بلى وا صادق وهذه حلته وناقته فلما تحققت ذلك أنشدت أبياتا ترثيه بها وتتأسف عليه فيها وأنه لا يطيب لها العيش بعده ولا خير لها في الحياة بعد فقده ثم ماتت من ساعتها قال الرجل فما رأيت أكثر باكيا ولا باكية من يومئذ .

وروى ابن عساكر عنه أنه قيل له بدمشق لو تركت الشعر وحفظت القرآن فقال هذا أنس بن مالك يخبرني عن رسول ا (ص) أنه قال إن من الشعر لحكمة